علاقة رعاية الطفل

بحالة الأم من الناحية الاجتماعية[1]

الدكتور حسن كمال

أنشىء قسم رعاية الطفل والامومة في القطر المصري عام ١٩٢٧ لمعالجة الأمراض الوراثية وتحسين النسل والاهتمام بالأمومة واحاطة الأمهات بوسائل العناية والوقاية وتشجيعهن على القيام بوظائف الامومة خير قيام ورعاية الطفل والعناية بصحته حتى تقل نسبة الوفيات بين الأطفال

ونستعرض الآن حالة سكان القطر ووفياتهم ثم نتتبع مدى تأثير رعاية الطفل والأمومة فيهم . وبديهي ان الاغراض السياسية التي أنشئت من أجلها مراكز رعاية الطفل هو زيادة تعداد السكان وزيادة مواليده والاقلال من وفياتهم . والجدول الآتي يبين عدد المواليد وعدد الوفيات في القطر المصري من سنة ١٩٣٦ الى سنة ١٩٤٠ :

السنة	عدد المواليد	عدد الوفيات	عدد الزيادة في السكان
١٩٣٦	٦٩٨١٨٦	٤٥٥٨٣٢	٢٤٢٣٥٤
١٩٣٧	٦٩٤٠٨٦	٤٣٤٢٠٨	٢٥٩٨٧٨
١٩٣٨	٧٠٤٣٧٦	٤٢٩٢٤٨	٢٧٥١٢٨
١٩٣٩	٦٩٦٧٤٦	٤٢٩٠٣٣	٢٦٧٧٦٣
١٩٤٠	٦٩٧٧٠٠	٤٤٤٤٤٨	٢٧٣٢٥٢

ولتسهيل مقارنة هذه الاعداد بالنسبة الى كل الف من السكان تكون النتيجة كالآتي :

السنة	نسبة المواليد الى كل الف من السكان	نسبة الوفيات الى كل الف من السكان	نسبة الزيادة الى كل الف من السكان
١٩٣٦	٤٤ر٢	٢٨ر٨	١٥ر٣
١٩٣٧	٤٣ر٥	٢٧ر٢	١٦ر٣
١٩٣٨	٤٣ر٣	٢٦ر٤	١٦ر٩
١٩٣٩	٤٢ر٢	٢٦ر٠	١٦ر٢
١٩٤٠	٤١ر٦	٢٦ر٥	١٥ر١

ومن ذلك يتضح أن هناك زيادة سنوية غير مطردة في السكان يجب المحافظة عليها . لان زيادة السكان تعني زيادة الايدي العاملة وهذا معناه زيادة قوة الامة

ولاطراد زيادة السكان يحسن العمد الى الوسائل الاجتماعية والطبية . فالاجتماعية

---

(١) محاضرة للدكتور حسن كمال مدير قسم رعاية الامومة والطفولة في مصلحة الصحة الاجتماعية (القاهرة)

كالترغيب في الزواج بمختلف الطرق أو سن قوانين تقضي على الذين لا يتزوجون بدفع ضرائب للحكومة أكثر من المتزوجين ، أو تفضيل المتزوجات والمتزوجين على غير المتزوجين والمتزوجات عند الالتحاق بالوظائف العمومية. لكن هذه الطرق مقيّدة للحرية الشخصية. أما الوسائل الطبية فتتلخص في علاج العقم عند المتزوجين والمتزوجات

بعد ذلك تأتي مقاومة زيادة الوفيات وهذه أهم وسيلة لزيادة سكان القطر . لانه في كل ألف من المتوفّين من جميع الاعمار يموت ٢١٦ طفلاً بين الولادة ، وبلغ السنة ١٥٥ طفلاً بين السنة والسنتين و١٣٢ طفلاً بين السنتين والخمس سنوات . فيكون المجموع ٥٤٨ طفلاً . ومعنى هذا ان نصف الذين يموتون في القطر المصري من جميع الاعمار هم أطفال يقل عمرهم عن الخمس سنوات وهي حقيقة تدل على شدة وطأة الموت على الاطفال المصريين كما تدل على ان سن الطفولة هو أنسب سن للاقلال من الوفيات عامة

نشأت فكرة رعاية الطفل والأم على أثر احصاء الوفيات وتوزيعها على الأعمار ، إذ اتضحت الحقائق السابقة فأصبح لزاماً على رجال الحكم وضع حدّاً لهذه الخسارة الهائلة في أرواح السكان . في سنة ١٩٢٧ أنشأت وزارة الصحة دوراً خاصة هي مراكز رعاية الطفل والامومة ومن ذلك التاريخ أخذ تعداد هذه المراكز يكبر حتى بلغ الآن ٦٢ مركزاً تابعاً لوزارة الصحة ،وهناك مراكز أخرى صغيرة عديدة في القرى تشرف عليها مصلحة الصحة القروية كما انّ هناك مراكز أخرى تابعة لمجلس بلدي الاسكندرية . وكانت الامهات اول الأمر تعتقد انهنّ أقدر على ارضاع أطفالهنّ والعناية بهم وبأنفسهنّ من مراكز رعاية الطفل. لذلك أحجمنَ أولاً عن طلب المساعدة من تلك المراكز

لكننا الآن بعد أن شاهدنا اقبال الجمهور على هذه المراكز علمنا ان تلك الافكار والعقائد كان أساسها الجهل والكسل . ولا أدلّ على ذلك من ان عدد الولادات التي قامت بها مراكز رعاية الطفل عام ١٩٤٢ بلغت ٨٦٨٠٦ ولادة وان عدد الاطفال المترددين على مراكز رعاية الطفل في ذلك العام أيضاً ١٣٥٥٢٧٥ طفلاً . وعدد الحوامل القديمات ٣٥٣٢٩٢ وعدد الحوامل الجديدات ١٠٤٩٢٩ وعدد عيّنات الدم المأخوذة للفحص ٨٥١٤٦ عينة

ومع ذلك فاذا قارنا حالنا هذه بالحال في بريطانية لاتضح لنا الفرق الهائل ومدى ما يجب علينا عمله حتى نصل الى ما وصل اليه الانجليز . ففي بداية هذه الحرب ١٩٤٠ كان أكثر من ٣٠٠٠ مركزاً لرعاية الطفل كبيرة : ٢٥٠٠ مركزاً صغيراً لرعاية الطفل والامومة شبيهاً بالعيادة الخارجية. وأصبح الآن أكثر من ثلاثة أرباع الامهات ببلاد الانجليز ينتفعن بخدمات مراكز رعاية الطفل والأم

وهكذا أصبحت مراكز رعاية الطفل والامومة محل تزاحم الأمهات . والحقيقة ان العمل في هذه المراكز له تأثير يخالف تأثير عيادات المستشفيات . ففي الاخيرة مرضى كثيرون وفيها أنظمة خاصة قد تأنف منها الأمهات السليمات ومعهن أطفالهن الاصحاء . أما الجو في مراكز رعاية الطفل فأشبه شيء بجو أسرة من أول دخول المركز الى الخروج منه . فهناك تلقى المحاضرات وتدرس دروس عملية لطرق ارضاع الطفل وملبسه ونظافته والعناية بعينيه وصحته وغذائه ، وعلى هذه العناية بالأمهات وغير ذلك . كما ان المراكز تقوم بعلاج الحالات البسيطة وتصرف الشديدة منها الى المستشفيات القريبة . وهناك أيضاً يوزن الاطفال وتقاس حرارتهم وتدوّن فتتعلّم الامهات مدى نمو أطفالهن وصحتهم وطرق مراقبتهما . وهناك مراكز توزع فيها الأغذية ذات القيمة الخاصة من جهة الفيتامينات التي تساعد على نمو الطفل وتدرأ عنه الامراض وهناك حقن الوقاية ضد الدفتيريا والتطعيم ضد الجدري . كما ان هناك دروس تعطى لتفصيل ملابس الاطفال الى جنب مراكز تقوم بالالعاب الرياضية للطفل

وتبدأ العناية بالطفل من الشهر الثالث للحمل فتذهب أمه الى المركز ويبحث عما فيها من مرض سيؤثر على الطفل مدة حمله وعند وضعه وبعد ولادته . فيحلل بول الأم وتقاس أبعاد الحوض ويحدد وضع الجنين ويحلل دم الأم وغير ذلك وتنبه الى ما يحسن بها عمله . مدة حملها . ثم يعاد فحصها باستمرار حتى الوضع وعندئذ يباشر مركز رعاية الطفل ولادتها ومقاسها ويتعهد طفلها حتى السنة الخامسة من العمر والحقيقة ان كثيراً من أمراض الأطفال واصاباتهم هي نتيجة عدم العناية بكل هذه الخطوات فعدم العناية بصحة الأم وجنينها وقت الحمل يسبب كثيراً من الأمراض ومخاطر الوضع . وعدم العناية وقت الوضع يسبب امراضاً كثيرة ووفيات عديدة للامهات والأطفال . أما الاهمال بعد الوضع فحدّث عن مضاعفاته ولا حرج فهناك النزلات المعوية والالتهابات الرئوية والرمد الصديدي وغير ذلك من الأمراض التي لا تحصى

هذه الرعاية من النواحي الاجتماعية الهامة وقد كان الشعب المصري يجهلها فهي تظهر قيمة الوقاية وطرق المحافظة على الصحة وتظهر ضرورة معالجة الوالدين من كل مرض يصيبهما ويعوق رعايتهما لأطفالها اذ ينتهي الى أطفالهم فيصابون به أيضاً . تظهر قيمة الصحة في المجتمع بعد دخول المدارس حيث يتمكن الطفل مما أوتي من حسن رعاية وجودة غذاء وكمال نمو ووفرة صحة، من النبوغ والتقدم بخطوات سريعة لا تقاس بخطوات من سبقه من الاطفال . تظهر للمجتمع فائدة انتاج جيل صحيح سليم يكوّن جيشاً يدرأ عن الأمة الاعداء وعن القطر الكسل والجهل وعن الأهل الفرض فتقل الأمراض بالنسبة الى قوة المقاومة كما تقل مصاريف المستشفيات

على حين تكثر رؤوس الأموال في المشروعات النافعة كالشركات والمصانع فتتوفر الثروة والصحة والنشاط والقوة والعزة ثم يتلاشى الفقر والمرض والكسل والضعف والمذلة

ذلك باختيار هو الغرض الأسمى لرعاية الطفل وأثره في المجتمع

على انه لا تتوفر رعاية الطفل في أمة الا بتوفر الشروط الآتية أو قل الوصايا الاثنتى عشرة — أو قانون رعاية الطفل —

١ — يجب ان يولد الطفل ولادة طبيعية وهو خالٍ من مرض وراثي

٢ — يجب ان يتوفر للطفل بيئة صالحة ووسط مريح وسرور

٣ — يجب ان يخصص للطفل جزء من ايراد والده ووالدته

٤ — يجب ان يعنى بالأم قبل الوضع وبعده من الوجهتين الطبية والاجتماعية

٥ — يجب ان تساعد الأم وتفضل على غيرها في العلاج بالمستشفيات

٦ — يجب ان تصرف الأم عنايتها الى طفلها لمدة ثلاث سنوات على الأقل

٧ — يشترط في غذاء الطفل ان يكون كافياً

٨ — يجب ان يوضع الطفل تحت ملاحظة طبية دورية

٩ — يجب أن تتوفر دور كفالة للاطفال الذين تضطر أمهاتهم الى ان تتركهم وحدهم بعض اليوم وهم دون الثلاث سنوات

١٠ — يجب ان تتوفر ملاجيء لايواء الأطفال الذين يزيد سنهم على الثلاث سنوات مدة مرض امهاتهم او فقد من يعولهم

١١ — يجب انشاء مدارس لتعليم الامهات العناية بالاطفال — أو على الاقل يجب تدريس ذلك بالمدارس الحالية

١٢ — يجب العناية بالمرضعات والتأكد من خلوهن من امراض معدية او امراض اخرى تؤثر في الطفل او في تربيته، وان يكون لبنها موافقاً للطفل الرضيع وغير ذلك حتى يكفل للطفل الغذاء والصحة والراحة، وان لا يسمح لمرضعة ان ترضع طفلاً الا بعد الاستئذان في ذلك

ومن هذا يتضح ان أهم العوامل في انشاء جيل جديد سليم هو العناية بالأسرة وبالمنزل فأساس سعادة الأمة هو سعادة العائلة واستتباب وسائل الراحة بالمنزل . وهذه الوصايا الاثنتا عشرة ليست كلها طبية بل بعضها اجتماعية . ومن هنا يستنتج ان الامم الراقية الآن تعنى بالناحية الاجتماعية أكثر مما تعنى بالناحية العلاجية نحو انشاء المستشفيات . والمستشفيات والعيادات الخارجية وكثرة الأدوية هي طريقة الترقيع والاسعاف لاطالة عمر مدته قصيرة كلها مرض او ضعف . ونحن الآن لا نريد ترقيعاً بل نريد انتاجاً سليماً من البداية . نريد صحة

تامة ولا نريد امراضاً تهد من كيانها وآلاماً تحرمها لذة العمل والكد والحياة ونستعين على تحملها بالعقاقير والمستشفيات. فالمطلوب الآن جيل لا يملأ مستشفيات ولا تفترسه الامراض بل جيل يقاوم المرض ، جيل نشيط ، جيل كامل من كل وجهة

تلك هي الناحية الاجتماعية الهامة التي ترمي اليها رعاية الطفل

وتقصد هذه الرعاية ايضاً الى تدارك أخطار ثلاثة :

١ — اخطار دور الحمل : كم من جنين توفي فأجهضت امه نتيجة جهلها بالمحافظة على صحتها فالآلاف المؤلفة من حالات الاجهاض تنجم غالباً عن الاصابة بالامراض وعدم وقاية الأم مدة الحمل كما ان الاطفال الذين يتوفون وقت الوضع يكاد يزيد عددهم على الأجنة المتوفين وأغلب وفيات الوضع نتيجة عدم العناية بالجنين وقت الوضع او سوء استعمال الجفت او غير ذلك. وهناك عامل آخر هام لوفاة الجنين او الطفل الحديث الوضع ألا وهو مرض الزهري. هذا هو السبب في ان مراكز رعاية الطفل تفحص دم كل حامل جديد تطرق بابها . ويؤثر الزهري في الجنين وهو في رحم امه عادة وقد ثبت من نتائج فحص الدماء بمراكز الاطفال ان هناك نسبة كبيرة من المصابات بهذا المرض بين الحوامل الجديدات. أما الحوامل القديمات فانهن يكنّ قد برئن منهُ في مراكز رعاية الطفل في الحمل الاول ولذلك يقل حدوثهُ بينهن. والزهري خطر آخر على حياة الجنين فهو سر اسباب الاجهاض وهذا هو السبب في ان كل مركز رعاية طفل يشدد على الحوامل الجديدات في تعرف هل سبق اجهاض أو لا

وهناك أخطار أخرى نتيجة تسمم الحمل مثل الاكلامسيا والزلال البولي وغير ذلك مما يؤثر كثيراً في صحة الام وحياة الطفل . وهذا هو سر فحص البول للزلال وقياس كميته وقياس الضغط الدموي في مراكز رعاية الطفل والتنزيف وقت الحمل سبب هام في قتل الجنين

وثلاثة ارباع هذه الاخطار يمكن تجنبها وعلاجها . ومن هنا وضح تشخيص الامراض عند الام وقت الحمل وتأثير علاجها الحسن على صحتها وصحة طفلها وصحة الجمهور تبعاً لذلك

٢ — اما اخطار الوضع فكثير منها سهل العلاج والاجتناب . فتغير وضع الجنين في كثير من حالات الحمل قبل الوضع يسهل الوضع ويقلل من مخاطره . كما ان قياس ابعاد الحوض كثيراً ما يرشد الى صعوبة الولادة قبل حدوثها وطريقة علاجها جراحيًّا . وهكذا يتضح لنا ان من أهم طرق منع وفيات الاطفال وقت الوضع ومدة الحمل هي : اولاً فحص الام مدة الحمل ، ثانياً علاجها علاجاً محكماً ، وذلك ما تهتم به مراكز رعاية الطفل والامومة

٣ — اما اسباب وفيات الاطفال بعد الوضع في هذا القطر فهو النزلات المعوية والمعدية والرئوية والامراض المعدية الاخرى وسوء التغذية وقلة التغذية . والنزلات المعدية وأهمها

الاسهال الأخضر، كثير الحصول صيفاً نتيجة قذارة طعام الطفل او قذارة فمه او سقوط التباب على فمه . أما النزلات الرئوية فهي نتيجة تعرض الاطفال الى البرد فجأة وعدم العناية بتدفئتهم تدفئة كافية . وأما الامراض المعدية فأهمها الحصبة . لأن الجدري والدفتيرية أصبحا الآن مما يُتفادى بالتطعيم وبالمصل

وسوء التغذية سبب عظيم في النزلات المعوية المعدية . لأن الطعام الثقيل والتالف يضران بالمعدة والامعاء ويهيجان أغشيتها المخاطية فيصاب الطفل بشتى العلل

ويتضح مما ذكر ان أهم عامل في رعاية الطفل هو الاستشارة الدورية الصحية . ولذلك فقد خصصت أيام الأسبوع لفئات خاصة : فيوم للحوامل الجديدات، ويوم للحوامل القديمات، ويوم للاطفال من وقت الولادة الى الشهر الثالث ، ويوم من الشهر الثالث الى السادس ، ويوم من الشهر السادس الى آخر العام الاول ، ويوم من اول العام الاول الى آخر العام الخامس . وهكذا يعمل المركز ستة أيام ويستريح في اليوم السابع

والمؤكد ان هذه الاستشارة الطبية الدورية في مراكز رعاية الطفل سيكون لها تأثير كبير في طوائف الامة الاخرى من آباء وأمهات وطاعنين في السن، فيعمد هؤلاء الى استشارة الطبيب دورياً ، شأن أطفالهم وزوجاتهم

فالتردد على مركز رعاية الطفل انما هو لملاحظة الامراض المبتدئة ودرأ التعرض لبعض العلل من جهة الملبس أو المشرب أو المأكل أو المسكن أو مهنة الأمهات — وهناك يشير الطبيب على الأم باللازم حتى لا تصاب هي وطفلها بمرض من الامراض المذكورة

وتتلخص الاستشارة الطبية الدورية بمراكز رعاية الطفل في وزن الطفل وقياس درجة حرارته وفحص هيكله العظمي وغدده الليمفاوية وسلامة جلده ونظافة جسمه وحالة رئتيه وقلبه وغير ذلك . أما الام فيحلل بولها ويقاس ضغطها وتفحص رئتاها وقلبها وغير ذلك

ويلاحظ ان استمرار الوزن يرشد الى درجة النمو . وقد دلتنا التجربة ان لطول الجسم ووزنه وشكل صدره علاقة ببعض الامراض المعدية ، وان الطبيب الكشاف يمكنه أن يصف العلاج الذي يراه لأجل مقاومة الجسم لهذه الامراض

***

وهناك مسألة العينين التي تجب العناية بهما لكثرة الرمد الحبيبي هنا وانتشار قصر البصر الطبيعي وهذا هو سر اهتمام مراكز رعاية الطفل بهما . وقد شمل هذا الاهتمام أيضاً أسنان الاطفال وميعاد ظهورها وحالتها الصحية حيث اتضح انها ذات علاقة عامة بالتغذية والاصابة بالزهري وغير ذلك .